وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١٩)

حب
مكارم الأخلاق

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حَدَثَ فِي الحَيِّ الغَرْبيِّ مُشْكِلَةٌ اجْتِمَاعيَّةٌ بَينَ عَائِلتينِ ، وَكَانَ سَبَبَها الأَوْلاَدُ وَهُم يَلعَبُون!

وَانطَلَقَ الشَّابُّ (سَعِيد) إلى الشَّيخِ (يَحيى) فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ ، وطَلبَ منهُ أَنْ يَذهبَ للصُّلحِ بينَهُمَا ، وَذلكَ خَوفاً مِنْ أَنْ يَكْبُرَ المَوْضُوعُ وَتَكُونَ النَّتائِجُ سَيِّئَةً جِداً.

لكِنَّ الشَّيخَ اعتذرَ نَتِيْجَةَ وَضْعِهِ الصِّحِّيِّ ، ثمَّ قالَ للشَّاب (سَعيد): «عَليكَ بالأُستاذِ (زَينِ العابدين) وأَبلغه تَحيَّاتي وقُلْ لَهُ: أَنْ يأْخُذَ مَعَهُ بَعضَ شبابِ دَورةِ القُرآنِ الكَرِيمِ.

وَبِالفِعْلِ انطلقَ الشَّابُّ إلى بيتِ الأُستاذ (زين العابدين) ولمَّا قرعَ جَرسَ البَابِ ، خرجَ

وَاحِدٌ مِن أولادِ الصِّغارِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ وَالدِهِ ، فَقَالَ هُوَ عِنْدَ صديقهِ الأُستاذ (نُور الهدى).

وذَهَبَ إلى بَيتِ الأُستاذ (نُور الهُدى) ، ولَمَّا طرقَ البابَ ، فَتحَهُ شابٌّ من أولادِ الأُستاذِ ، وأدخلَهُ إلى الغُرفَةِ الَّتي فيها الأُستاذان (نُورُ الهُدى وزَينُ العابدينَ).

ولمَّا دَخَلَ الغُرْفَةَ ألقَىٰ السَّلامَ ، ثُمَّ بلَّغَهُ ما قالَهُ الشَّيخُ (يَحيى) ، فرفَعَ الأُستاذُ (زَين العابدين) يديهِ وَوَضَعَهُما على رَأْسِهِ وقالَ: كَلامُ الشَّيخِ على العَيْنِ وَالرَّأسِ.

ثُمَّ قالَ الأُستاذُ (للشَّابِّ حَسَن) اذْهَبْ وَادْعُ أصْدِقاءَكَ: حُسَين ومُهْتَدي وَمُعتز..

وخِلالَ نِصفِ ساعَةٍ كانَ الجَمِيعُ مُجْتَمِعينَ في بيتِ الأُستاذِ (نُور الهُدى) وانطلقَ الشَّبابُ

مَعَ الأُستاذِ إلى بيتِ أَحدِ المُتَخاصِمِينَ...!

فقالَ الأُستاذُ (نُور الهُدى) فِي البَيتِ وَأَمامَ أَهْلَ الوَلَدِ الذي ضَرَبَهُ صَدِيْقُهُ: إِنَّ المَسألَةَ بِحاجَةٍ إلى حُسْنِ الخُلُقِ لِيَكونَ العَفْوُ والصَّفحُ في كُلِّ مَكَانٍ، لذلكَ قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق».

بَلْ إِنَّهُ صَلواتُ اللهِ عَليهِ كانَ يَحرصُ كَثيراً على التَّمَسُّكِ بِفَضَائِلِ الأَخْلاَقِ، فَيقُولُ فِي أَدْعِيَتِهِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأخلاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَها إِلاَّ أَنْتَ».

ما هُوَ أَساسُ الإِسْلاَمِ؟!

وتَابَعَ الشَّابُّ (حُسَينٌ) الحَديثَ قائِلاً:

تَعْتَبِرُ الشَّرِيعةُ الإِسلاميَّةُ أَنَّ الدِّينَ هُوَ الأَخْلاَقُ الكَرِيْمَةُ وَأَنَّ الأخلاقَ الكَرِيْمَةَ هِيَ الدِّينُ ، لِذلكَ قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما في تَفْسِيرِ قولِهِ تَعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

فَقالَ: أَيْ: لعلى دِينٍ عَظِيمٍ ، لا دِينَ أحبُّ إِليَّ ، ولا أَرْضَىٰ عِنْدِي مِنْهُ ، وهُوَ دِيْنُ الإِسلامِ.

ورَحِمَ اللهُ ابنَ قَيِّمِ الجَوزيَّةِ عِنْدَما قالَ: الدِّينُ كلهُ خُلقٌ ، فَمَنْ زادَ عليكَ فِي الخُلقِ زادَ عَليكَ فِي الدِّينِ.

إِذاً: أَساسُ الإِسْلامِ حُسْنُ الخُلُقِ ، فَمَنْ كانَ يحْمِلُ صِفَةَ حُسْنِ الخُلُقِ فَقَدْ عرَفَ أَساسَ الإِسلامِ.. وَلَمْ يَخْرُجْ عَنِ الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ ، وإِلاَّ فَمَنْ حَمَلَ سُوءَ الأَخلاقِ فَقَدْ هَدَمَ أَساسَ الدِّينِ .

وَحتَّىٰ لو صَامَ وصلَّىٰ وحجَّ و...!!

ولِـذلـكَ فيَـا أَحبَّتنـا عَليكُـمْ أَنْ تَتَحلَّـوا بِالأَخلاقِ الحَمِيدَةِ، حتَّى لو شَعَرتُمْ أَنَّكُمْ مَظْلُومُونَ بِبَعضِ الأمورِ!!

الرَّسولُ ﷺ والأخلاق

وأَشارَ الأُسْتَاذُ إلى الشَّابِّ الذَّكِي (مُعْتَز) بِأَنْ يَتكلَّمَ، فَقَالَ (مُعْتَز): لَقَدْ سُئِلَتِ السَّيدةُ عائِشَةُ رَضيَ اللهُ عنها عَنْ خُلُقِ رسول الله ﷺ، فَأَوْجَزَتْ قائِلَةً: كانَ خُلُقَهُ القُرآنُ!

ولِذلكَ حَثَّ صَلواتُ اللهِ عليهِ عَلَى الأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ، ورغَّبَ فِيها، مِنْ ذلِكَ ما رَواهُ الإِمَامُ مالِكٌ فِي المُوطَّأ، عَنْ أَبِي هُريرةَ رضي اللهُ عنهُ قالَ: قال رسولُ الله ﷺ:

«إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ».

وَفِي وَصِيَّةٍ يَنْقُلُهَا التِّرمذيُّ فِي سُنَنِهِ، يُوصِي بِهَا رسولُ الله الصَّحَابيَّ أَبا ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَيَقُولُ:

«يا أَبا ذرٍّ! اتَّقِ اللهَ حيثُ كُنْتَ، وخالِقِ النَّاسَ بِخُلقٍ حَسَنٍ».

وعِنْدَما أَرادَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يخرجَ إلى سَفَرٍ، جاءَ إلى الرَّسول ﷺ فَقَالَ:

يا رسولَ اللهِ! أوصِني.

قال: «اعبدِ اللهَ ولا تُشْرِكْ بِهِ شَيئاً».

قالَ: يا رَسُولَ اللهِ زِدنِي.

قالَ: «إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ».

قالَ: يا رسُولَ اللهِ زِدني.

قالَ: «استَقِمْ وَليَحْسُنْ خُلقكَ».

وذاتَ مرَّةٍ يلتَقِي الرسولُ ﷺ بِأَبِي ذَرٍّ، فيقُولُ لَهُ:

«يا أبا ذَرٍّ! لا عَقلَ كالتَّدبِيرِ، ولا حُسْنَ كَحُسْنِ الخُلُقِ».

ويُؤَكِّدُ الرَّسُولُ ﷺ على ما تُعْطِيهِ الأَخْلاَقُ الفَاضِلَةُ مِنْ مَرَاتِبَ ونَتائِجَ حَسَنَةٍ، فَيقولُ: «مِنْ سَعَادَةِ ابنِ آدمَ حُسْنُ الخُلُقِ».

ويَضْرِبُ صَلواتُ اللهِ عليهِ لِذَلِكَ أَمْثِلَةً، وذلكَ لِيحَبِّب النَّاسَ بِحُسْنِ الأخلاقِ.

فَيَقُولُ: «لَوْ كَانَ حُسْنُ الخُلقِ رَجُلاً يمشِي فِي النَّاسِ لَكَانَ رَجُلاً صالِحاً».

وَيَقُولُ ﷺ: «إِنَّ حُسْنَ الخُلُقِ يُذيب الخَطِيئَةَ كَمَا تُذيبُ الشَّمْسُ الجَلِيْدَ».

ثُمَّ يَصِفُ الرَّسُولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حامِلَ الخُلُقِ الحَسنِ وَصفاً رائعاً ، فَيَقُولُ:

«إنَّ مِنْ أَكْمَلِ الإيمانِ حُسْنَ الخُلقِ».

ويَقُولُ أَيضاً: «أَكْمَلُ المُؤْمِنينَ إيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً».

وَيقولُ أَيْضاً: «إنَّ أَحبَّكُمْ إلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يومَ القِيَامَةِ أَحاسِنُكُمْ أَخلاقاً».

وَكَانَ مِنْ دُعائِهِ صَلواتُ اللهِ عليهِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحةَ وَالعَافِيَةَ وحُسْنَ الخُلُقِ».

وَاستأْذَنَ (مُهْتَدِي) مِنْ صَدِيْقِهِ (مُعتز) وَقالَ:

وَمِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وأَرفَعِها: العَفْوُ والصَّفْحُ عَنِ الآخَرِين . مِصْدَاقُ ذلِكَ ما قالَهُ

الرَّسُولُ ﷺ: «ما نقَصَ مالٌ مِنْ صَدَقَةٍ ، ولا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلمة ، إلاّ زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزّاً ، فَاعْفُوا يُعزَّكُمُ اللهُ تَعالَى».

ثُمَّ توَجَّهَ (مُهْتَدِي) نَحْو صاحِبِ البَيْتِ وقالَ: «أُناشِدُكَ الله أَنْ تَقُومَ مَعَنا إلى صَاحِبِ البَيْتِ الآخَرِ وَالَّذي اقتَتَلْتُمْ مَعَهُ ، ولِنُصَالِحكُمْ.. فالأُستاذُ (زَينُ العابدين) كَلَّفَ نَفْسَهُ مُهمَّة الإصْلاحِ بينَ النَّاس ، وهَذِهِ قَضيَّةٌ رائعَةٌ أَخْبَرَ عَنهَا الرَّسولُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيامِ ، والصَّلاةِ ، والصَّدَقَةِ؟» قالُوا: بَلى.

قالَ: «صَلاحُ ذَاتِ البِينِ ، وفَسَادُ ذاتِ البَينِ هِيَ الحَالِقَةُ».

سَمِعْنَا يا رَبِّ!!

ونَهضَ الرَّجلُ ـ صَاحب البَيْتِ ـ ودُمُوعُهُ تَسيلُ على خَدَّيهِ: وقالَ: إذا كانَ هذا هُوَ المَنْهَجُ الرّبانيُّ والنّبويُّ.. فَسَمِعنا وأَطَعْنَا يا ربِّ.. وَعُذْراً مِنْ كُلِّ ما بَدرَ مِنّا.. إنّا لَمُستَغْفِرُونَ إلى اللهِ وتَائِبُونَ.. ثُمَّ أَنشدَ قَائِلاً:

١ ـ أُحبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ جَهْدِي
وَأَكْـرَهُ أَنْ أَعِيْـبَ وَأَنْ أُعَـابَـا

٢ ـ وَأُعْرِضُ عَنْ سِبَابِ النَّاسِ جَهْدِي
وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ بَحَثَ السِّبَابَا

فَوَقَفَ الأُستاذُ (زينُ العَابِدين) وَقَدْ تَهلَّلَ وَجْهُهُ سُروراً، وقالَ: بارَكَ اللهُ فِيكَ، وأَحْسَنَ اللهُ إليكَ، وَوَاللهِ إنَّهُ لَيَنْطَبِقُ عَليكَ قَولُ الشَّاعِر:

١ ـ كُلُّ الأُمورِ تَزُولُ عَنْكَ وتَنْقَضِي
إلاّ الثَّنَـاءُ فَـإِنَّـهُ لَـكَ بـاقِ

٢ ـ وَلَوْ أَنَّنِي خُيِّرتُ كُلّ فَضِيْلَةٍ
مَا اخْتَرتُ غيرَ مَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ

وَإليكَ بِشارَةٌ مِنْ رسولِ الله ﷺ: «إِنَّ أَحبَّكُمْ إِلـيَّ وَأَقْـرَبَكُـمْ مِنِّـي مَجلِسـاً يَـوْمَ القِيـامَـةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخلاقاً، المُوَطَّؤونَ أكنافاً، الذين يألَفُونَ وَيُؤلَفُونَ، وإِنَّ أبغضَكُمْ إليّ، وأَبعدَكُمْ منِّـي مَجلِسـاً يـوم القِيـامَـةِ: الثَّـرْثَـارُونَ، وَالمُتشدّقونَ، والمُتَفَيْهِقُون».

وَفِي الطَّريق..!!

وَانْطَلَقَ الأُستَاذُ وطُلاَّبهُ مَعَ صَاحِبِ البَيْتِ، إلى بَيْتِ الرَّجُلِ الذي اخْتَصَمَ معهُ.. وَفِي الطَّرِيْقِ قَالَ الشَّابُّ (حُسَيْن):

إنَّ فِي النَّاسِ أُناساً لا يَتَمَتَّعونَ بِحُسْنِ الخُلُقِ، إنَّما يَحْمِلُونَ الأَخْلاقَ السَّيِّئَةَ، وبالتَّالِي يصدُقُ عليهم قَولُ رسولِ الله ﷺ: «سُوءُ الخُلُقِ ذَنْبٌ لا يُغْفرُ، وسُوء الظَّنِّ خَطيئَةٌ تَفُوحُ».

والسَّببُ فِي ذلكَ كُلِّه، أَنَّ الإيمانَ إذا كَانَ ضَعِيفاً فِي نَفْسِ الإنسَانِ، فَإنَّ ذلكَ سَيُؤَدِّي إلى سُوءِ الخُلُقِ، والعَكْس صَحِيحٌ أَيضاً، دَليلُ ذلكَ قولُ رسولِ الله ﷺ:

«وخصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ، حُسْنُ الخُلُقِ، والبُخْلُ».

ومِسْكينٌ مِسْكِينٌ مَنْ حَمَلَ سُوءَ الخُلُقِ، فَلا هُوَ فِي الدُّنيا مِنَ الفَائِزين، ولا هُوَ فِي الآخِرَةِ من النَّاجِينَ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قولُ رسولِ الله ﷺ:

«مِنْ شَقَاوَةِ ابنِ آدمَ سُوءُ الخُلُقِ».

وقَولُه أَيضاً: «إنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرك جَهَنَّمَ وهوَ عَابدٌ».

ما أَجْمَلَهَا مِنْ نَتِيْجَةٍ!!

ولمَّا وَصَلُوا إلى بَيْتِ الرَّجُلِ ، نَزَلَ الأُسْتَاذُ (نُورُ الهُدَى) وطَرَقَ البَابَ ، فخَرَجَ الرَّجُلُ.. ، ولمَّا رَأَىٰ الأُسْتاذَ وَمَنْ مَعَهُ فُوجِئَ بِذلكَ ، فقالَ الأُسْتَاذُ: هَيَّا أَقْبِلْ عَلى أَخِيكَ المُسْلِمِ ، وصَافِحْهُ وَقَبِّلْهُ ، واطْلُبِ الصَّفْحَ مِنْهُ.

وَبِالفِعْلِ اعتَنَقَ الرَّجُلان.. وسَامَحَا بَعضَهُمَا بَعْضٍ.. وعَلاَ الوُجُوهَ الفَرَحُ والسُّرورُ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَرَىٰ الإنسانُ نَتِيجَةَ الإصْلاحِ مُبَاشَرَةً ، فَكيفَ إذا رَأَىٰ ما أَعدَّ اللهُ لذلكَ؟!.

وَأَقْسَمَ الرَّجُلُ على الجَمِيعِ إلاّ أَنْ يَدْخُلوا إلى البَيْتِ ، وَما هَيَ إلاّ ساعَة مِنَ الزَّمنِ ، حتّى كانَ الطَّعامُ قَدْ أُعِدّ ، فَأَقْسَم عَليهِم فَأَكَلُوا جَمِيعاً عَلى بَرَكَةِ الله وحُبّاً وكَرامَةً.. فَذَاكَ كُلّهُ فَضْلٌ مِنَ اللهِ وتَوْفِيق..

وَأَصرَّ الأُستَاذُ عَلى إحضَارِ الشَّيخِ (يَحْيَى) لِتَكُونَ البَرَكَةُ أكثَر.. وَلِتُصْبِحَ الفَرْحَةُ فَرْحَتينِ ، واجْتَمَعَ الأَحْبابُ على حُبِّ اللهِ.. وحُبِّ الرَّسولِ وعلى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ..

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمين